

عافر - عقيم

باسم البسومي

كلية العلوم التربوية

عقر:

جاء في الآية ٨ من سورة مريم على لسان زكريا، عليه السلام: ((رَبِّ أَنْيْ يَكُونُ لِي غُلْمٌ
وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا)).

لقد وصف زكريا، عليه السلام، امرأته بأنها عافر في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، ولم تأت مادة عقر في القرآن الكريم إلا في قصتين اثنتين هما: قصة زكريا، عليه السلام، وقصة ناقة صالح، عليه السلام، حيث وردت مادة (عقر) في القصة الأخيرة خمس مرات. جاء في بصائر ذوي التمييز: "عُقْرَه: أصله، وعُقِرَت النخل: قطعت من أصله، والبعير: نحرته". ويقول السمين الحلبي: "وامرأتي عافر أي لم تلد". وبالرجوع إلى قصة زكريا، عليه السلام نجد أنه قد وصف زوجته بأنها عافر. وعافر على صيغة اسم الفاعل، مما يعطي إيحاءً بأن امرأة زكريا، عليه السلام، كانت تعقر أولادها، بمعنى أنها تحمل ثم يسقط الولد، فكان لا يثبت في رحمها حمل. والظاهر من الآيات أنّ زكريا، عليه السلام، قد عهد من امرأته هذا الوضع وأدرك أنها عافر لا يثبت في رحمها حمل. ومما يعزز هذا الفهم أنّ العقر هو صفة طارئة على شيء موجود، فعقر الناقة هو نحرها وعقر النخلة هو قطعها، والناقة والنخلة موجودة ثم طرأ عليها وصف العقر.

ومن جهة أخرى، يبدو أنّ زكريا، عليه السلام، كان أمله بالله كبيراً في أن يرزق الولد، فلا يوجد هناك خلل عضوي يمنع الحمل، ولم يصرح القرآن بأنّ امرأته كانت عجوزاً أو عقيماً كما هو الحال في امرأة إبراهيم، عليه السلام، بل ما هو حاصل أنّ امرأته تحمل ثم يسقط الحمل، هذا ما توحىه ظلال الآيات: ((وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا)) ((هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)).

عقيم:

قال تعالى: { فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } الذاريات ٢٩

{ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } الشورى ٥٠

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
يَوْمٌ عَقِيمٌ {الحج ٥٥
{وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ {الذاريات ١٤}

هذه هي المواقع الأربعة في القرآن الكريم التي وردت فيها مادة (عقم)، ونلاحظ أنّ عقيم
بمعنى عدم الإنجاب قد وردت فقط في الآية الأولى والثانية، فما معنى عقيم، وما هو الفرق
بينها وبين عاقر؟

جاء في القاموس المحيط: "العُقْمُ بالضم: هَرْمَةٌ - أي نقرة - تقع في الرحم فلا تقبل
الولد"، وجاء في عمدة الحفاظ: "عذاب يوم عقيم: أي لا يولد فيه خير يعني لم يوجد، ويجعل
ما يشاء عقيماً: أي لا يلد ولا يولد له".

فالعقم إذاً اسم لحالة يُمنع فيها الإنجاب. ويبدو أنّ زوجة إبراهيم، عليه السلام، كانت مدركة
لحالتها وأنها لا تلد وقد أصبحت عجوزاً ولم تُرزق بمولود، بينما ضررتها هاجر كانت قد
رُزقت بإسماعيل، عليه السلام. لذلك كانت إجابتها لضيف إبراهيم باستغراب وتعجب، فقالت:
عجوز عقيم!! ومن هنا ندرك الفرق بين حالة امرأة زكريا وبين حالة امرأة إبراهيم، عليهما
السلام، حيث كانت الأولى تحمل ولا يستقر في بطنها حمل، وكانت الثانية لا تحمل ابتداءً.